إشكالية المصطلح الطبي العربي؛ تنوع ثقافي أم صراع لساني؟

د. عبد الحليم كبوط

مقدمة:

يتنقّل بعضنا أحيانا بين البلدان العربية للسياحة أو العمل والدراسة والتظاهرات العلمية، وأحيانا ما تتصادف رحلاتنا مع بحثنا عن العيادات والمتشفيات والمصالح الطبية لغرض علمي أو اجتماعي أو لطارئ صحي ألمّ بنا، وأول ما نبحث عنه ويلفت أنظارنا اللافتات الإشهارية التوجيهية التي تقودنا وتدلنا على أماكنها، أو التي تقودنا بداخلها للوصول إلى الأقسام المختلفة فيها.

لكن للأسف سرعان ما نصطدم بمصطلحات ومسميات مختلفة وغريبة عن تلك التي تعودنا عليها في بلداننا أو تلك التي عرفناها في بلدان عربية أخرى سبق لنا زيارتها، فكل بلد يصطلح على مسميات طبية مختلفة عن مسميات البلدان الأخرى للمسمى نفسه، بل أحيانا ما نتفاجأ بهذه الظاهرة الاصطلاحية حتى على مستوى البلد الواحد أين يظهر هذا الاختلاف بين محافظة إدارية وأخرى وبين مدينة أو إمارة وأخرى وبين جامعة وكلية وأخرى. فالدال مختلف والمدلول واحد. واترك البحرَ رهوا أمام مستعجِل أو باحث عن مؤسسة استشفائية أو دليل طبي.

- فلماذا تستعمل البلدان العربية مصطلحات متعددة للموضوع والشيء الواحد؟ وما هي أسباب هذه الظاهرة اللغوية المرضية في الصحة العربية؟

هذا ما تحاول المداخلة الإجابة عليه للمساهمة في الحفاظ على اللغة العربية، وتجسير الفجوة بينها وبين العلوم والواقع والتخصصات الأخرى. فكان المحور المختار اللغة العربية والطب، وقد استندنا في مقاربتنا هذه على المنهج المقارن. وكان اختيار مصطلحات اللوحات الاشهارية من بين العينات والوحدات البحثية إيمانًا بالتأثير الكبير والفعال للإشهار على الواقع الاجتماعي، وتنمية الرصيد اللغوي والثقافي للأفراد والجماعات، وقد أثبت هذا الدور والأثر نظريات الإعلان والإشهار العربية والغربية وباحثون منهم كروفورد وأوكسيتفلد.

أولا: المؤسسات الاستشفائية وإفرازاتها:

١ / المؤسسات الاستشفائية:

تعتبر لوحات الإشهار ولافتات الإعلان لمؤسسات الخدمات من أهم الأشياء التي ينبغي العناية بها لا سيما ما تعلق بالخدمات الإنسانية الضرورية كالاستشفاء والصحة، ولذلك ترى لوحاتِ المستشفيات في كل مكان لكنّ المؤسف في الأمر ذلك التنويع اللغوي غير المبرر في المصطلح؛ فهناك من يسميها مستشفى وآخر يسميها مصحة أو عيادة أو مشفى أو مستوصف أو مركز علاج أو مركز رعاية صحية أو يصطلح عليها باسمها الأجنبي: (clinique أو polyclinique أو hospital) إلخ، مما يولّد لدى المتلقي اضطرابا في عملية البحث والاستيعاب والأمر أحيانا يكون في غاية الخطورة إذا كان الباحث عنها في أمس الحاجة لها. وعلى سبيل المثال يوضح الجدول التالي عينة من تلك الظاهرة اللغوية عن مسميات المؤسسات الاستشفائية في البلدان العربية:

المصطلح	الدولة
مؤسسة استشفائية	الجزائر وتونس والأردن
مستشفى	معظم الدول العربية...
قاعة علاج	لبنان و الإمارات العربية المتحدة والجزائر
مصحة	ليبيا وتونس

مستوصف	السعودية وتونس
مشفى	فلسطين وسوريا
مركز علاج	قطر والعراق والمغرب وسلطنة عمان والسودان وموريتانيا...
عيادة أو عيادة طبية	لبنان والبحرين والإمارات والجزائر...

بعد الرجوع لقواميس اللغة ومعاجمها تبين لنا أنّ المصطلحات المستخدمة في الدلالة على المؤسسات الاستشفائية بعضها صحيح والآخر خاطئ. فكلمة مستشفى اسم مفعول من الفعل استشفى أي طلب الشفاءَ أو ناله، والشفاءُ هو الدواء الشافي، فالمستشفى مكان للاستشفاء. ومنه كذلك مشفى من الفعل أشفى أي وصف له دواء يكون شفاءه فيه. وكذلك كلمة علاج فهي مصدرُ الفعل عالج، وعالج المريضَ بمعنى داواه وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنّ عبد الرحمن بن أبي بكر توفي بالحُبشيِّ على رأس أميال من مكة فجاءة، فنقله ابن صفوان إلى مكة، فقالت عائشة رضي الله عنها: "ما آسى على شيء من أمره إلا خصلتين أنه لم يعالِج (أو يعالَج) ولم يدفن حيث مات". ولم يعالَج أي لم يمرَّض فيكون قد ناله من ألم المرض ما يكفر ذنوبه١.

وكلمة مصحَّة من الصحة والصحاح خلاف السقم أي ذهاب المرض، وقد صحَّ فلان من علته واستصح قال الأعشى٢:

أَمْ كمَا قالوا سَقيم فَلَبَن نَفضَ الأسقامَ عنه وَاسْتَصَح

أي برئ وصح من مرضه، وفي الأثر صوموا تصحوا٣ وروي الصوم مصَحّةٌ٤ وهي الأخرى كلمة قريبة الدلالة. فالكلمات السابقة: مستشفى ومشفى ومصحة وقاعة علاج كلها قريبة ولها دلالة واضحة على دورها وهويتها.

أما عيادة فمن الفعل عاد العليلَ يعوده عيادةً أي زاره وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "حق المسلم على المسلم ست. قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمدَ الله فشمِّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعه"٥ وفي رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس"٦. وهنا يظهر جنوح مستخدمي كلمة عيادة للترجمة الغربية عن كلمة٧ clinique / clinic وهي مأخوذة من المصطلح اللاتيني clinicus وله ثلاثة معاني هي: طبيب ومريض طريح الفراش ومتعهد الموتى. ويبدو هنا خطأ الترجمة واضحا لأن العيادة من الزيارة للمريض ولذلك فالأقرب للترجمة مصطلح مشفى أو مصحة.

وكلمة مستوصف من الفعل استوصف أي طلب الوصف "واستوصفَه الشيء سأله أن يصفه له... واستوصفْتُ الطبيب لدائي إذا سألته أن يصف لك ما تتعالج به" واستوصفتَ الشاعرَ لحالك إذا سألته أن يصفك، وهكذا فالفعل عام يدل على طلب الوصف، وليس مقصورا على الطب والعلاج، وهنا يظهر بُعدُ الاختيار. رغم أنّ المعاجم الوسيطة والقواميس المعاصرة جعلت من مصطلح المستوصف بمعنى المستشفى الصغير أو التابع لهيئة ما، وذلك من باب التطور الدلالي للمصطلحات حسب تقديرها.

٢ / نفايات المؤسسات الاستشفائية٨:

تعتبر مسألة النفايات التي تنتجها المؤسسات الاستشفائية أمرا مهما وخطيرا لما يتعلق بها من أمور حساسة وما يترتب عليها من تأثيرات. وقد عرفتها بعض المراجع التشريعية العربية: كل النفايات الناتجة عن نشاطات الفحص والمتابعة والعلاج الوقائي أو العلاج في مجال الطب البشري والبيطري. كما ذكر الباحث محمد الأمين فيلالي في مقال له مخطوط حول إنتاج وتسيير النفايات في المؤسسات الصحية أن الباحث ديمتريوس كوميليس ذكر أن المصطلح الأكثر شيوعا واستعمالا في هذا المجال هو النفايات الطبية خلال الثمانينات يليه النفايات الاستشفائية خلال السبعينات ثم نفايات النشاطات العلاجية الأقل تداولا والأكثر اعتمادية في العقود الأخيرة، وقد استعملت التشريعات العربية مصطلح نفايات الرعاية الصحية كما استعملت مصطلح النفايات الطبية ثم العلاجية، وهناك من استعمل غيره والجدول التالي يوضح ذلك:

المصطلح	الدولة
نفايات النشاطات العلاجية	الجزائر
النفايات الطبية	فلسطين والأردن
نفايات الرعاية الصحية	دول التعاون الخليجي ومصر وسوريا
النفايات الاستشفائية	موريتانيا
النفايات الصحية	السودان
نفايات النشاطات الصحية	تونس
النفايات الطبية والصيدلانية	المغرب
نفايات المؤسسات الصحية	لبنان

ثانيا: الأمراض الخطيرة:

أما في مجال الأمراض المعترضة والمزمنة فالأمر يزيد خطورة مع ظاهرة تنويع المصطلحات؛ حيث تجد للمرض الواحد أكثر من اسم أو مصطلح فما بالك بالصفات التي تطلق عليه، وكأن نسق اللغة العربية ونظامها أمر جبري مفروض علينا حتى في عصرنا هذا وفي اختصاصات علمية دقيقة، فمنذ القديم تعددت الأسماء والصفات للمسمى الواحد؛ فهذه الظاهرة ليست وليدة عصرنا الحالي بل وليدة الطبيعة اللسانية للغتنا الأم، فكم كانت لغتنا مغرمة بالتنويع الاصطلاحي وكثرة الأوصاف منذ نعومتها؛ فقد نقل لنا الإخباريون واللغويون القدامى المسألة بوضوح إذ قال الشافعي: تسمِّي العربُ الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة وهو الترادف، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة وهو المشترك. أي المشترك اللفظي كقولنا: المرض والداء والسقم والعلة والعاهة والآفة. أفلا ترى أنهم ذكروا أنّ للقرآن الكريم نيفا وتسعين اسما، وقد ذكر ابن رجب ممن ألف فيها علي التجيبي الحرالي (.٦٤٧هـ) وابن قيم الجوزية (.٧٥١هـ) كتاب (شرح أسماء الكتاب العزيز)٩ وألف فيها من المعاصرين الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، كتاباً عنوانه: (الهدى والبيان في أسماء القرآن)١٠. مثل الفرقان والبيان والبرهان والنذير والبشير... إلخ.

وقد ذكر الفيروز آبادي ثلاثة وتسعين اسماً من القرآن للقرآن الكريم ومنها: التنزيل، الآيات، الكتاب، القرآن، الحق، التذكرة، الهدى، الوحي، الصراط المستقيم، التبيان، الصدق، المفصل، الحديث، الرحمة، النور، النذير، كلام الله، القول الثقيل، القول الفصل، العربي، الحكيم، الحكمة البالغة، العلم، القصص، البشير، الموعظة، المبارك، البصائر، الشفاء، النبأ العظيم، الفرقان، المجيد، الروح، البلاغ، حبل الله، البرهان، أحسن الحديث المثاني، السراج، المبين، وغيرها من الأسماء والصفات١١.

كما أنه لله تعالى تسعة وتسعين اسما أو أكثر من ذلك كما تذكر الأدلة وقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "١٢ وإحصاؤها حفظها وتعلمها والعمل لمقتضاها. وأن لنبينا صلى الله عليه وسلم أكثر من اسم فهو أحمد ومحمد والقاسم والأمين والصادق المصدوق. كما ذكروا أن للسيف أكثر من خمسين اسما، وللأسد كذلك أسماء عديدة ما دفع بابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) إلى تأليف كتاب مستقل في أسمائه وصفاته. والجمل والناقة والحية والمنزل وغيرها ولذلك كله أسباب كثيرة ومتنوعة. كما سنرى في أسماء المرض الواحد وغيره.

١ / مرض تصلب الأعصاب:

أو تصلب الأعصاب المتعدد (Multiple Sclerosis) أحد الحالات المرضية العصية على العلاج، ضمن حالات أمراض الجهاز المناعي؛ مرض التهابي يزيل صفائح الميلين النخاعية المغطية للأعصاب. ومن أسبابه: الإصابات الفيروسية؛ لأن الفيروسات الخطيرة كثيرا ما يمتد ضررها إلى إصابة الأعضاء بالشلل التام والنصفي وإلى الإصابة بالأمراض الخطيرة على غرار أنفلونزا الطيور والخنازير. والنظام الغذائي لأن اختلاف مستويات الفيتامينات باء ودال (B-D) في الجسم عامل مشترك بين المصابين به. وقلة التعرض للشمس لأنه يكثُر

في أقصى شمال الكرة الأرضية ولأن الشمس لها علاقة بالفيتامين دال١٣. ولهذا المرض أسماء عديدة ومتداخلة أحيانا في الثقافة الطبية العربية وذلك موضح حسب الجدول التالي:

المصطلح	الدولة
التصلب اللويحي المتعدد	دول الخليج ولبنان ومصر..
التصلب المتعدد	السودان والجزائر ومصر
التهاب الدماغ	الجزائر
النخاع المنتشر	سوريا
التصلب المنتشر	لبنان
النخاع المنتثر	العراق
النخاع المستعرض	سوريا والأردن
التصلب المنتثر أو المتناثر	مصر
تصلب الأنسجة أو النخاع المعترض	السعودية
التصلب الصفيحي	الجزائر

بعد رجوع البحث لبعض هذه المصطلحات وجدنا بأن الاجتهادات الفردية في الترجمة كانت السبب المباشر لتعدد الأسماء والصفات، بالإضافة للترجمة الحرفية غير الدقيقة حيث أن التسمية الأجنبية (Multiple Sclerosis) في حد ذاتها غير دقيقة بل خاطئة؛ لأن المرض مناعي ويصيب الجهاز العصبي المركزي أي الدماغ والنخاع الشوكي، ولعل أجود الأسماء التي تعكس ذلك ما اختارته الترجمات السعودية "تصلب الأنسجة" أو ما اختارته كثير من الدول العربية "التصلب اللويحي المتعدد"١٤. لأنه يصيب ألواح الميلين المحيطة بالأنسجة العصبية في الدماغ والنخاع الشوكي.

٢ / مرض القولون العصبي:

اضطراب يحدث داخل الجهاز الهضمي ـ الأمعاء الغليظة ـ ينتج عنه مباشرة خلل في وظائف القولون ويصاحبه ألم في البطن وقد يصاحبه إمساك أو إسهال، كما يصاحبه التعب والتشنج والانتفاخ والقلق والتوتر. ويسمى باللغة الفرنسية: Syndrome de l'intestin irritable أما باللغة الإنجليزية فمختصرهIBS ويسمىIrritable Bowel Syndrome متلازمة القولون العصبي١٥. وقد اختلفت صفاته بل حتى ترجماته وأسماءه في الطب العربي حسب الجدول التالي:

المصطلح	الدولة
القولون العصبي	دول الخليج واليمن وسوريا وتونس والأردن وجيبوتي..
القولون المتهيج	مصر والبحرين
القولون الملتهب	السعودية
المصران الغليظ	الجزائر والمغرب
القولون التقرحي	السودان ومصر والجزائر
متلازمة الأمعاء الهيوجة	سوريا وفلسطين
القولون المزمن	قطر والبحرين
القولون المتشنج	سوريا والعراق
القولنج	الطب العربي القديم

لعل الصفات التالية: العصبي، المتهيج، الملتهب، الغليظ، التقرحي، المزمن، المتشنج. تستجمع بعض الأفكار حول هذا المرض الذي يصيب الجهاز الهضمي أو الأمعاء الغليظة بالتحديد، وهي من أعراضه المتعددة ولذلك الاقتصار على واحدة منها للدلالة عليه مخل، كما أن إطلاقها جميعا عليه غير صحيحة هي الأخرى لأنّ الاسم يكون مفردا لا جملة، ولذلك راحت كل دولة أو مصلحة أو جامعة أو كلية أو باحث استشفائي أو طبيب يختار الاسم المناسب في رأيه وفهمه والمتماشي مع محيطه وتعاملاته الخارجية ومصادره البحثية.

ولأننا استسلمنا لأسبقية الطب الأجنبي أو الغربي بالتحديد في وضعه للمصطلحات الطبية والأسماء والصفات التابعة لها فلا غرو أن نختار أحد تلك الترجمات لهذا المرض المزمن: Irritable Bowel Syndrome ونرجحها من بين تلك الأسماء الأخرى، والتي رأينا أنها الأقرب لطبيعة المرض ولمصطلحات الترجمة، وهو اختيار الجامعات الخليجية والمصرية والجزائرية والتونسية خاصة حين سمته بالقولون العصبي؛ لأن المرض يصيب القولون بالتحديد ومن أعراضه الحساسة والبليغة: التوتر والقلق والهيجان العصبي.

وقد ذكر في كتب الطب العربية القديمة عند ابن الأشعث وابن جميع وابن سينا باسم القولنج على أنه من الأمراض الباطنة؛ مرض معوي مؤلم يتعسر معه خروج ما يخرج بالطبع، السبب فيه في الأمعاء الغلاظ فما يليها، ومن أسبابه: الريح المعترضة والالتواء والديدان وزحير المستقيم وورمه، وقد ينشأ بالمشاركة مع أمراض أخرى مثل أمراض الكبد والمثانة والطحال والكلى.. وهناك بعض الأطعمة تهيئ الأمعاء للقولنج وهي البقول والفواكه الرطبة والشراب كثير المزاج.. وأن تجمع في جوفك البيض والسمك في حال واحدة فإنهما إذا اجتمعا ولدا القولنج١٦.

٣/ مرض الربو:

الربو مرض قديم عرفه الصينيون منذ ٤٠٠٠ سنة وعالجوه في ذلك الزمان بأوراق وجذور شجرة الأفيدرا ويسمى باللغة الأجنبية Asthma (أزما) ومصدرها يوناني وتعني التنفس الصعب أو التنفس عبر الفم المفتوح. وقد وصفه أبوقراط في القرن الرابع قبل الميلاد بأنه يكون أكثر حدوثا وحدة في فصل الخريف.

المصطلح	الدولة
الربو	معظم الدول العربية
حساسية الصدر	اليمن ومصر
الربو القصبي	العراق
الربو الرئوي	جيبوتي
الربو الشعبي	مصر والعراق
الآزم	الجزائر
حساسية القصبات	العراق وسوريا
الأزمة الصدرية	السودان
إثارة القصبات	ليبيا
الضيقة	المغرب

ثالثا: الطب الطبيعي:

عرف الإنسانُ التداويَ منذ القدم حين أَلهمه خالقه البارئ جل جلاله الأفعال والأعمال، فكما أُلهم اللغة أُلهم الحساب والطب والتداوي بالأعشاب والثمار، ولعل في قصص الأنبياء أدلة كثيرة على قولنا، فالنبي آدم عليه السلام لما مرض - في مرض وفاته - طلب من أبنائه أن يحضروا له الثمار، وكما في الأثر الذي رواه عبد الله بن الإمام أحمد قال: "... عن أُبي بن كعب قال: إن آدم لما حضره الموت قال لبنيه: أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة. قال: فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه... فقالوا لهم: يا بني آدم

ما تريدون وما تطلبون؟... قالوا: أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة. فقالوا: ارجعوا فقد قضى أبوكم. فجاؤوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم"١٧. ففي هذا الأثر يظهر لنا معرفة بني آدم للتداوي بالثمار والأعشاب. كما أن الحضارات القديمة تداوت وعرفت الطب كما هو مروي عن الحضارات البابلية الأشورية والفينيقية والفرعونية واليونانية والرومانية والإسلامية ولا مندوحة لذكر الأدلة على ذلك فهي كثيرة لا تكاد تحصى، ونكتفي بحضارتنا الإسلامية.

هذه الحضارة التي لا تزال تدهش العالم بمعجزات الطب الطبيعي الذي وصف كثيرا منه نبيُّ الرحمة والشفاء محمد صلى الله عليه وسلم الذي أُرسل بالقرآن والحكمة، وإلى يومنا هذا نُقبل على وصفاته شديد الإقبال ونسمي طبه بأسماء مختلفة، سواء على مستوى الأغذية والثمار والأعشاب التي ذكرها أو على مستوى طبه في حد ذاته.

١ / الطب النبوي:

نُسب الطب التقليدي لنبينا صلى الله عليه وسلم لأن أغلبه وكثيره وصفه لأمته قولا وفعلا وتقريرا، كما نُسب إليه احتراما وتقديرا وتوقيرا، لكننا أحيانا نحيد عن هذا الاتباع ونصطلح على أسماء أجنبية مختلفة كما هو مبين في الجدول الآتي:

المصطلح	الدولة
الطب النبوي	أغلب الدول العربية
الطب التقليدي	دول الخليج ومصر والأردن...
الطب البديل	لبنان والجزائر واليمن
الطب العربي	ليبيا وتونس والجزائر
الطب الشعبي	السعودية والسودان وتونس
الطب البلدي	فلسطين وسوريا
الطب الوسطي	قطر والعراق والمغرب وسلطنة عمان...
الطب المكمل أو التكميلي	لبنان والبحرين والإمارات واليمن...
الطب الطبيعي	الكويت

وكما سبق القول فلم تقف بنا قدما التنوع الثقافي العربي والصراع اللساني عند تنويع أسماء الطب النبوي فحسب بل تعدت إلى تنويع في أسماء تلك البقوليات والحبوب والثمار والأعشاب والخلطات التي وُصفت لنا فيه، ومثال على ذلك أسماء الحبة السوداء.

٢ / الحبة السوداء Nigella sativa **: أو حبة البركة:**

بذرةُ نباتٍ صغيرة شغلت العالم منذ بابل القديمة، وتربعت على عرش الأعشاب الطبية والبهارات الطبيعية لأنها دواء لكل داء كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي رواه البخاري ومسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام" أي الموت، وروى البخاري هذا الحديث عن أمنا عائشة رضي الله عنها بزيادة إنَّ في أوله فقالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ الحبةَ السوداء شفاء من كل داء إلا السام"١٨. ولها أسماء عديدة منها:

المصطلح	الدولة
الحبة السوداء	جميع الدول العربية
حبة البركة	دول الخليج واليمن والشام...
الشونيز أو الشونياز	العراق وسوريا
الكمون الأسود	لبنان

الكراوية السوداء	السعودية
حبة البصل الأسود	مصر
زهرة جوز الطيب	اليمن
بذور السمسم	الجزائر وتونس
السانوج أو السينوج	الجزائر والمغرب وتونس
القزحة	مصر
السميراء والقصيمية	السعودية

يقول غينوت غيتزار في صفحته الخاصة بالبهارات: إن هذه التسميات تخلق غلطا ولبسا لا ضرورة له حول الحبة السوداء إذ أن بعض الأسماء تعني أشياء أخرى مغايرة للحبة. ففي بعض المصادر الإنجليزية يطلق عليها اسم الكمون الأسود Black Cummin وهذا خيار خاطئ لأن هذا اسم خاص لنوع من أنواع بهارات آسيا الوسطى وشمال الهند، كما لا يوجد علاقة بين الحبة السوداء واسم الكراوية السوداء Black Caraway لأن الحبة السوداء تستخدم مع حبوب الكراوية في تحضير خبز الجاودار اليهودي Rye Bread . كما يطلق البعض عليها تسمية حبة البصل الأسود Black Onion Seed بسبب الشبه الكبير بين الحبتين من ناحية الحجم واللون... كما هو الحال مع اسم زهرة الطيب Nutmeg Flower الذي يستخدم في مجموعة من اللغات الأوربية للتدليل على البسباسة... وعلاوة على ذلك يتم الخلط بينها وبذور السمسم١٩.

وقد عُرِفت منذ بدايات التاريخ الطبي مع أبوقراط وديا‌سوريدوس ثم مع الطبي العربي في صدر الإسلام ثم عند الأطباء المسلمين كابن سينا الذي ذكرها باسم حبة البركة ورأى أنها تحفز الطاقة وتساعد على التغلب على الإرهاق والإجهاد٢٠. كما أن عقارها ودواءها كثير جدا وموصوف في مضانه وكفى بالحديث الشريف المذكور فيها شافيا.

ومن خلال الجدول السابق وكلام غينوت غيتزار يتبين لنا الخيط الرفيع بين بعض تلك المصطلحات تارة حين توصف بأنها حبة البركة أو السميراء، كما يتبين لنا النهار الجلي في بعضها الآخر حين توصف بأنها بذور السمسم أو زهرة الطيب أو أنها الخذيري الأسود ثمار شجرة البُطم المعمرة طويلا بشمار إفريقيا والصحراء، وهذه الأوصاف والأنواع بعيدة عنها كل البعد والله أعلم.

رابعا: سبيل التفوق والتطور تعريب العلوم:

إن الجولات الاستكشافية التي قادتنا حول بعض العواصم العربية والمواقع الصحية والمؤسسات الطبية كانت كافية لتبرز أهمية الموضوع وحساسيته لطالما الأمر يمس قطاعا واسعا من المؤسسات والمجالات الطبية العمومية والجامعية والخاصة، فالظاهرة منتشرة في عواصم دول عربية كبرى كدول الخليج وشمال إفريقيا والشام واليمن والعراق والسودان وجيبوتي؛ فمن عينات البحث: المؤسسة الاستشفائية العمومية مصطفى باشا في الجزائر العاصمة وكلية الطب بجامعة قسنطينة١ بالجزائر. ومدينة دبي وكلية دبي الطبية ومستشفى الشيخ زايد في أبو ظبي بالإمارات. وجامعة قطر ومركز علاج الطبي بالدوحة بقطر. وتونس ومستوصف صفاقس بتونس. ومصحة طرابلس والمركز الليبي السويسري بليبيا. ومشفى فلسطين بمخيم اليرموك. وكلية الطب بالجامعة اللبنانية والجامعة الأمريكية بالمركز الطبي في بيروت وعيادة لبنان. ومركز علاج السلطان في السليمانية بالعراق. ومستشفى الملك حمد الجامعي وعيادة المنار في الحجر بالبحرين. ومستشفى أم درمان التعليمي وكلية الطب بجامعة النيلين بالخرطوم. ومستشفى البشير ومستشفى الرحمة التعليمي في جيبوتي. ومركز العلاج الأكاديمي التطبيقي للطب البديل التكميلي باليمن. ومركز أمراض القلب بموريتانيا. وجامعة ومستشفى الملك عبد العزيز ومستوصف ركن العلاج لطب وتقويم الأسنان في الرياض بالسعودية. وفي مصر أم الدنيا مستشفى السلام الدولي والمركز الطبي للمقاولون العرب ومعهد جنوب مصر للأورام وكايرو سّكان في القاهرة. ومستشفى السلام الدولي ومركز العلاج الطبيعي بالكويت.

ففي هذه البلدان والعواصم والمواقع المختلفة تظهر لك ظاهرة تنويع المصطلح الطبي في الوطن العربي المتنوع ثقافيا لكنه متصارع

لسانيا بل متضاربا ومتناقضا ومشوشا أحيانا في بعض المصطلحات الطبية كما رأينا من خلال الجداول. ومما سبق تتضح لنا الحاجة الماسة والضرورية لتعريب الطب، ولعل الدعوات المرفوعة من أجل تعليم الطب والعلوم الطبية باللغة العربية صارت ملحة وضرورة؛ وهي دعوة تنبثق من منطلقين٢١:

- أولهما أن اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم الطبية.
- وثانيهما أن الأطباء والعاملين في المجال الصحي أقدر على التعبير عن أنفسهم، كتابة وقراءة وحوارا وعلى الاتصال بكل من المريض والمجتمع بلغتهم الأم. ولعلنا ندرك قيمة تعريب الطب إذا عرفنا أن كثيرا من الدول الأوربية مثل السويد والنرويج وفنلندا وألمانيا والنمسا تدرس الطب بلغاتها، وعلى مستوى عال من الأداء، في الوقت الذي نجد فيه أن البلاد العربية وعدد سكانها نحو ربع بليون نسمة وفيها أكثر من ٩٠ كلية طب (بل مئات لأن في الجزائر وحدها حوالي ٢٠ كلية طب) كلها تدرس الطب بلغات أجنبية هي الإنجليزية والفرنسية والإيطالية ما عدا خمس كليات، ولعلنا لا نندهش حينما نعلم أن التكامل بين بلدان الوطن العربي يمكن أن يتم حتى في الحفاظ على اللغة العربية باستفادة كل دولة عربية بما لدى الأخرى من وسائل الحفاظ على اللغة ومحاربة أساليب الغزو المختلفة.
- ولعلنا نستطيع إضافة منطلقين ثالث: حين ندرك أن الطالب والعالم والطبيب يستطيعون الإبداع باللغة الأم أكثر مما يستطيعونه باللغة الثانية لأن الإبداع وليد الاستيعاب الجيد للمادة محل البحث والاستكشاف والدراسة والموهبة العقلية الفكرية ولا يخفى على أحد أن اللغة وعاء الفكر؛ فتفكيرنا باللغة الأم يسهل علينا الكثير من المتاعب والاستيعاب، كما أن البحوث أثبتت أن طلاب الطب الذين يدرسونه باللغة العربية أكثر استيعابا له وأكثر نجاحا فيه من غيرهم اللذين يتعبون مرتين مرة في الترجمة وأخرى في الاستيعاب والفهم. ورابع حين نعرف مدى تأثير الظاهرة في سلوك المستهلك من ناحيتين:
- الأولى: من ناحية أن الموضوع حساس يتعلق بالصحة بالنفس البشرية بالإنسانية فالطب عمل إنساني قبل أن يكون تجاريا اقتصاديا، ولذلك علينا ضبط المفاهيم والأسماء أي المدلولات والدوال اللغوية ضبطا دقيقا لا مكان للاحتمالية والنسبية فيه، لطالما العلم بالتعلم، والطب عَلِمَه من علمه وجَهِلَه من جهله فلا مكان للمتطبِّب.
- والناحية الثانية: أن لغة اللوحات الإشهارية والترويجية والإعلانية لها تأثير كبير في سلوك المستهلك كما رأى ذلك كل من أوكسيتفلد وكروفورد وروجارس: إن الإشهار في جوهره عملية اتصال خلاق مع جمهور المستهلكين المستهدفين من أجل التأثير في سلوكهم الشرائي ودفعهم وتوجيههم بطريقة سليمة عبر المراحل المتعارف عليها بدءا بالمنتج أو العلامة المعلن عنها انتهاء إلى الإقبال والشراء والتبني، فسلوكات المستهلك وقراراته - حسب روجارس - تمر بمراحل هي: الإدراك ثم الاهتمام ثم التقييم ثم التجريب ثم التبني أي باختصار: المعرفة ثم الاتجاه ثم السلوك. فالإشهار فن إغراء الأفراد على السلوك، كما أنه عملية اتصال تهدف إلى التأثير على المشتري من خلال إجراءات وطرق ووسائل غير شخصية يقوم بها البائع٢٢.

وكما هو معلوم فاللغة سلوك وتَعلُّمها يتم عبر المثير والاستجابة، ولذلك فترك العنان للمنتجين دون رقابة سيفسد لغة الأجيال لا محالة، ولذلك فينبغي الانتباه للظاهرة ومعالجة مشاكلها وفهم أسبابها وبسط الحلول لها.

خاتمة:

ومما استنتجناه من البحث والله الموفق نعم المولى ونعم الوكيل أن من أسباب ظاهرة تنويع المصطلح الطبي ما يلي: تسويق الخدمات على حساب الثقافة. والتسميات الأجنبية الخاطئة. والترجمة غير الدقيقة. والتنافس الترويجي وحب التميّز. والجهود الفردية. وتغييب المستشارين اللغويين. ومن الحلول المقترحة التي ذكرها الكثير وأعدنا ذكرناها كما سبق القول تعريب العلوم بما فيها الطب، وتمكين وتثمين الجهود الجماعية والتعاونية كما تفعل بعض الدول العربية على غرار دول التعاون الخليجي، ومنح الفرصة للمترجمين المعرَّبين لقدرتهم في استكناه المدلول الدقيق، بالإضافة إلى التدقيق في الأسماء الأجنبية قبل اعتمادها وترجمتها وبعث التنافس الاستثماري العلمي على حساب التنافس الترويجي المادي. وللإشارة فإن الظاهرة ليست سلبية دائما لأنها أحيانا تثري المعجمية العربية وتدل على رحابة صدر لغتنا وموسوعيتها وقدرتها الترويجية والبنيوية.

قائمة المصادر والمراجع:

١) ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٧٠، ج٢.

٢) ابن سينا: القانون في الطب، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣) ابن كثير: قصص الأنبياء، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤) البخاري: صحيح البخاري، مؤسسة الرسالة، الأردن، دط، دت.

٥) ريما بودراف ورشيدة موساوي: أثر الإشهار على سلوك المستهلك النهائي، جامعة أكلي محند البويرة، الجزائر، رسالة غير منشورة، ٢٠١٥م.

٦) سليم بن طلال: علاج القولون العصبي الرابط الإلكتروني:

www.acofps.com/vb/showthread.php?t=٢٢١٨٥

٧) سليمان يوسف بن خاطر أسو: أخطار العامية والأمية والعجمية على الفصيحة في الجامعات العربية، محاولة لتشخيص مشكلات عصرية تواجه العربية واقتراح الحلول التقنية، مطابع الجامعة الإسلامية.

www.mahamedrabeea.com

٨) عبد العزيز بن محمد العثمان: التصلب اللويحي، جريدة الرياض، السعودية، العدد ١٦٨٦٠، ٢٢/٠٩/٢٠١٤م.

٩) الفيروزابادي: بصائر ذوي التمييز، تحقيق محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ٢٠١٠، ج١.

١٠) كمال قدورة: أسماء كثيرة لحبة صغيرة شغلت العالم، جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد ١٣٨١٦، ٢٣/١٢/١٤٣٧هـ، ٢٥/٠٩/٢٠١٦.

١١) محمد الأمين فيلالي: إنتاج وتسيير نفايات المؤسسات الصحية، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة قسنطينة ٢ عبد الحميد مهري، الجزائر، ٢٠١٦.

١٢) محمد بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م.

١٣) مسلم: صحيح مسلم، مؤسسة الرسالة، الأردن، دط، دت.

١٤) الموسوعة العقدية خصائص القرآن الكريم، مؤسسة الدرر السنية، ٢١/١٢/٢٠١٥، الرابط:

http://www.dorar.net/enc/aqadia

١٥) ناصر الدين الألباني: السلسلة الضعيفة، دار المعارف، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٩م.

١٦) https://www.webteb.com/gastrointestinal-diseases/

١٧) American Center for Psychiatry and Neurology launches the first Multiple Sclerosis Unit in ٢٢nd November ٢٠١٦.

١٨) Felix Gaffiot. Dictionnaire Latin français. Hachette. ١٩٣٤.

الهوامش

١ محمد بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م، معنى أشفى ومعنى علج.

٢ المصدر نفسه، معنى صحَّ.

٣ ناصر الدين الألباني: السلسلة الضعيفة، دار المعارف، الرياض، السعودية، حديث رقم ٢٥٣.

٤ لم أجد تخريجه.

٥ مسلم: صحيح مسلم، مؤسسة الرسالة، الأردن، حديث رقم ٢١٦٢.

٦ البخاري: صحيح البخاري، مؤسسة الرسالة، الأردن، حديث رقم ١٢٤٠.

٧ Felix Gaffiot. Dictionnaire Latin français. Hachette. ١٩٣٤. p٣٢٨.

٨ محمد الأمين فيلالي: إنتاج وتسيير نفايات المؤسسات الصحية، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة قسنطينة ٢ عبد الحميد مهري، الجزائر، ٢٠١٦، ص٥.

٩ ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٧٠، ج٢، ص٤٤٩.

١٠ الموسوعة العقدية خصائص القرآن الكريم، مؤسسة الدرر السنية، ٢٠١٥/١٢/٢١، الرابط:

http://www.dorar.net/enc/aqadia

١١ الفيروزابادي: بصائر ذوي التمييز، تحقيق محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ٢٠١٠، ج١، ص٨٨.

١٢ البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، رقم ٢٧٣٦. وصحيح مسلم، رقم ٢٦٧٧.

١٣ American Center for Psychiatry and Neurology launches the first Multiple Sclerosis Unit in ٢٢nd November ٢٠١٦.

١٤ عبد العزيز بن محمد العثمان: التصلب اللويحي، جريدة الرياض، السعودية، العدد ١٦٨٦٠، ٢٠١٤/٠٩/٢٢م.

١٥ https://www.webteb.com/gastrointestinal-diseases/

١٦ سليم بن طلال: علاج القولون العصبي الرابط الإلكتروني:

www.acofps.com/vb/showthread.php?t=٢٢١٨٥

١٧ ابن كثير: قصص الأنبياء، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٥٣.

١٨ البخاري: صحيح البخاري.

١٩ كمال قدورة: أسماء كثيرة لحبة صغيرة شغلت العالم، جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد ١٣٨١٦، ١٤٣٧/١٢/٢٣هـ، ٢٠١٦/٠٩/٢٥

٢٠ ابن سينا: القانون في الطب، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٣٧.

٢١ سليمان يوسف بن خاطر أسو: أخطار العامية والأمية والعجمية على الفصيحة في الجامعات العربية، محاولة لتشخيص مشكلات عصرية تواجه العربية واقتراح الحلول التقنية، مطابع الجامعة الإسلامية.

www.mahamedrabeea.com

٢٢ ريما بودراف ورشيدة موساوي: أثر الإشهار على سلوك المستهلك النهائي، جامعة أكلي محند البويرة، الجزائر، رسالة غير منشورة، ٢٠١٥م، ص١٠٩ وغيرها.